

ملامح الاغتراب في شعر "على فودة" وردود فعله عليها

فاطمه جمشیدی (الكاتبة المسؤولة)*

وصال میمندی**

فاطمة قادری***

رضا أفخمی عقدا****

الملخص

الاجتراب هو وعى الفرد بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق والعدوانية وما يصاحب ذلك من سلوك إيجابى أو شعور بفقدان المعنى واللامبالاة والانعزال الاجتماعى وما يصاحبه من أعراض إكلينيكية، وهو ظاهرة بارزة في العصر الحديث، فالأدب في مثل هذه الظروف ينعدم فيه الاستقرار والهدوء، فمن هنا غلبت فكرة الاغتراب في الوقت الحاضر على تجربة الشعراء. هدفت هذه المقالة دراسة أنواع الاغتراب في شعر "على فودة" الشاعر الفلسطيني المعاصر (١٩٤٦-١٩٨٢م) والسبب في اختيار هذا الشاعر يعود إلى أن هذا الشاعر لا يعرفه الطلاب والباحثون كما يستحقه، فدراسة شعره من خلال الفحص عن أقسام الاغتراب في حياته يسدل الستار عن كثير من الزوايا الخفية في شخصيته. كذلك قصدت المقالة الكشف عن توظيفه بعض الآليات التعويضية لإزالة هذا الشعور وكل هذا عبر المنهج الكيفى الذى يعتمد على الوصف والتحليل. إضافة إلى هذا، دُرست ردة فعل الشاعر وتعامله تجاه اغترابه، ووصلت إلى أن اغتراب هذا الشاعر ظهر متمثلاً في الاغتراب الاجتماعى، والسياسى، والنفسى، والإخوانى، والزمانى، والمكانى. وظف هذا الشاعر آليات لدفع اغتراباته كتكرار الألفاظ الدالة عن الاغتراب واستخدام أسلوب الحوار فى اللجوء إلى الطبيعة والاستشناس بها وخطاب أمه الميئة عند الحنين إلى الطفولة، وأيضاً الخشوع تارة والسخط تارة أخرى. الكلمات الدليلية: على فودة، الاغتراب، الغربة، ردة فعل الشعراء.

*. طالبة مرحلة الدكتوراه فى اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد، مدينة يزد، إيران
f.jamshidi1364@gmail.com

** .أستاذ مشارك فى اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد، مدينة يزد، إيران
vesalm1387@yahoo.com

*** .أستاذة مشاركة فى اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد، مدينة يزد، إيران
mf_ghadery@yahoo.com

**** .أستاذ مشارك فى اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد، مدينة يزد، إيران
Rezaafkhami55@yahoo.com

المقدمة

الاغتراب «نوعٌ من الاضطراب في علاقة الفرد بنفسه والعالم، حيث يشعر المرء بأنّه غريبٌ عن ذاته منفصلٌ عن واقعه بسبب فقدان المعنى المتمثّل بصورة أساسية في الهدف.» (يوسف، ٢٠٠٥م: ١٤ - ١٥) وملخص القول أنّ الاغتراب هو ما يعانیه الفرد من الانفصال عن وجوده الإنساني وعن مجتمعه وأفعاله التي تصدر عنه، فيفقد سيطرته عليها فلا يشعر بأنّه مركز لعالمه ومتحكّم في تصرفاته. فهو من «العوامل المهمّة المسؤولة عن أزمة الإنسان في العصر الحديث حيث يصبح منفصلاً عن مجتمعه الذي يعيش في إطاره وحتّى يغترب عن نفسه وأفعاله.» (خليفة، ٢٠٠٣م: ١٠٣) هناك للاغتراب وجوه عديدة؛ «فمنها الاغتراب عن الوطن إلى جهات بعيدة ونائية ومنها الاغتراب النفسى وذلك حين يشعر المرء بأنّه يعيش غريباً بين أبناء مجتمعه ومنها أيضاً اغتراب المرء عن نفسه، وذلك حينما تتفصل عرى الوثائق بين الإنسان ونفسه، وكذلك الاغتراب الذي يفارق فيه الإنسان أهله وأصدقاءه ويرحل إلى مجتمعات أخرى تنعدم فيها صلات القربى ويتوجّه إلى مجتمع آخر ويكون فيه أصدقاء جدد ليعوّضوه عن أهله.» (ياسين، ١٩٩٢م: ٩)

المدخل

ظهر الاغتراب كموضوع أساسي في كثير من الأعمال الأدبية والفنية، فعُرفت كظاهرة ملازمة للإنسان في جميع العصور والمجتمعات وتمتاز بالغموض والتشوّط والإبهام وذلك بسبب استخداماتها المتعدّدة التي تشمل جلّ نواحي الحياة النفسية والذاتية والاجتماعية والدينية والسياسية والزمانية والمكانية وحتّى النواحي اللغوية؛ بسبب تعدد مصادر الفلاسفة والمفكرين الذين قدّم كل منهم مفهومه لهذا المصطلح بناء علي فلسفته وأفكاره الخاصة ضمن مجال بحثه وتوجهاته الفلسفية. وأمّا بالنسبة للشعراء «فالاغتراب يعود إلى عوامل ذاتية وموضوعية ومسائل روحية ومادية متداخلة كما أنّ قهر الاغتراب يرتبط أيضاً بسلسلة من العوامل الذاتية والاجتماعية والثقافية.» (جاسم، لاتا: ١٠) قبل التطرّق إلى البحث يجب الإشارة إلى الفرق بين الغربة والاغتراب؛ فالغربة هي

«انتقال المرء من مكان إقامته من بين أهله وجيرانه وأصدقائه وذكرياتة وموطنه إلى موطن آخر يُعيد فيه ترتيب أوضاعه فيكون صدقات جديدة وجيران جدد وذكريات جديدة وموطناً جديداً. والغربة رغم ما فيها من مساوئ وسلبيات لكنّها مفيدة وإيجابيه في أغلب الأحيان، ففي الغربة تجدد وتجديد، فالغربة تصقل الشخصية وهي طريقٌ للتفوق والتقدم والنهوض. أما الاغتراب فهو شعور الفرد بأنّه مرفوض من مجتمعه وناسه أي إنّه شعورٌ بعدم التجانس وعدم التقارب، ففي حالة الاغتراب يتولد عند الفرد الإحساس بكره المجتمع له وباحتقاره وفي الاغتراب يفقد الإنسان القيم والمثل الإنسانية والخضوع لواقع اجتماعي يتحكّم بالإنسان ويستعبده، وحينئذٍ يشعر بالانفصال والانزعال عن الآخرين، وحتىّ العالم ذاته..» (نوري، ١٩٨٣م: ٥٥) وملخص القول هو أنّ الغربة تختصّ بالبعد المكاني أي بالابتعاد عن الوطن ولكنّ الاغتراب قد تحدث في البعد عن الوطن وقد يصيب به الإنسان في الوطن فيمكن للإنسان أن يشعر بالاغتراب مع أنّه يعيش في وطنه بين أهله وأصدقائه؛ والفرق الآخر بين الغربة والاغتراب هو أنّ الغربة ظاهرة إيجابية تؤدّي إلى الازدهار والتعالى مع أنّ الاغتراب حالة مرضيه يعيشها الفرد ويعانى منها.

منهج البحث وأسئلته

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وهذا عبر قراءة ديوان على فودة؛ حيث تناول الباحثون الاغتراب لغةً واصطلاحاً، مع وقفة سريعة على حياة هذا الشاعر، ثمّ قاموا بدراسة قصائده واختيار الأبيات الدالّة على الاغتراب لديه

١. ولد "على يوسف أحمد فودة" في قرينته الفلسطينية "قنبر" من "قضاء" حيفا سنة ١٩٤٦م وحلّت به النكبة المزلزلة من مولده فانتزع طفلاً ورمته به إلى الاغتراب لم يُبق من الإحساس بها حتىّ استشهادها في سنّ السادسة والثلاثين وقد ترافقت النكبة مع فقدانه لأمّه التي سيظلّ لها حضوراً عطرّاً في شعره، وقد لجأ مع أسرته إلى القسم الشرقي من فلسطين ممّا عرف باسم "الضفة الغربية" وأصبح يتبع الإدارة الأردنية قبل حدوث نكسة ١٩٦٧م واحتلال الضفة واستشهد هذا الشاعر المصاب بمشاعر الوحدة والاغتراب سنة ١٩٨٢م وصدر له خمس مجموعات شعرية بين عامي (١٩٦٩ - ١٩٨٢م) وهي المجموعات التالية وفق ترتيب صدورها "فلسطيني كحدّ السيف"، "قصائد من عيون امرأة"، "عواء الذئب"، "العجري"، "منشورات سرّية للعُشب". (خليل، ٢٠٠٥م: ٧٦ - ٨٢)

وتصنيفها حسب أقسام الاغتراب والإتيان بنماذج لكل منها ثم تحليلها. هدف البحث إلى إلقاء الضوء على أنواع الاغتراب في شعر على فودة بغية الإجابة عن الأسئلة التالية: (١) ما هي أنواع الاغتراب في شعر على فودة؟ (٢) ما هي التقنيات الفنية التي وُظفت لبيان اغتراب هذا الشاعر؟ (٣) كيف واجه على فودة اغتراباته؟

الدراسات السابقة

إنّ الدراسات التي تناولت حياة على فودة وشعره قليلة جداً منها مقالة "كرامت نفس در آينه شعر على فوده شاعر مقاوم فلسطين" لـ "فضل الله ميرقادرى" و"حسين كياني" (١٣٨٩ش) التي فحص الكاتبان فيها عن مكارم النفس في شعر فودة كالصبر، والصدق، والشجاعة من خلال وصفه لأعمال بعض الشخصيات القديمة مثل "بلال الحبشى" و"عروة بن الورد". ومقالة "المقاومة في شعر على فودة" التي كتبها "عماد عبدالوهاب الضمور" (٢٠١٢م) وأيضاً رسالة لنيل درجة الماجستير بعنوان "ملامح أدب المقاومة في شعر على فودة" لـ "مرضية زينده" (١٣٩٣ش) حيث أشار الكاتبان فيهما إلى اهتمام فودة بقضايا مرتبطة بالمقاومة منها التأكيد على الهوية الفلسطينية والدعوة إلى المقاومة والحرية لحثّ المواطنين على الدفاع عن وطنهم السليب واستنتاجاً إلى أنّه يمكن عدّ على فودة شاعر المقاومة الفلسطينية بسبب اهتمامه الوافر إلى قضايا وطنه. ولكنّ الاغتراب نفسه مبحثٌ واسع تناولته دراسات عديدة أهمّها "ملامح الاغتراب في شعر أحمد صافي النجفي" لـ "عدنان أشكورى"، و"الاغتراب في شعر جميل صدقى الزهاوى وناصر خسرو القبادياني" لـ "عبّاس يداللهى" و"سردار أصلاني"، و"تجليات الغربة وظواهرها في أشعار عدنان الصائغ ديواناً تأبّط منفى وتكوينات نموذجاً" لـ "على خضرى" و"رسول بلاوى" و"آمنه أبگون"، ومقالة "الاغتراب ومظاهره في شعر سيّد قطب" لـ "فاروق نعمتى" و"جهانگیر أميرى" و"على سليمى" و"عبدالسلام كريمى"، وأيضاً "الاغتراب عند نازك الملائكة" لـ "مهدي ممتحن" و"حسين شمس آبادى" التي كانت كلّها حول ملامح الاغتراب في أشعار الشعراء دون دراسة ردود فعلهم تجاه الاغتراب. فكما نرى لم يتطرّق أى باحثٍ إلى ملامح الاغتراب في شعر "على فودة"

وهذا ما يميّز هذه المقالة عن البحوث المذكورة.

الاعتراب لغةً واصطلاحاً

جاء في "لسان العرب" «اغترَبَ الرَّجُلُ: نكح في الغرائب وتزوَّج إلى غير أقاربه، وفي الحديث: اغترَبوا لا تزوّوا أى لا يتزوَّج الرَّجُلُ القِرابَةَ القَريبَةَ فيجىء ولده ضاويماً أى ضعيفاً دقيق العظم هزيلاً، والاعتراب افتعالٌ من الغربة؛ أراد تزوّجوا إلى الغرائب من النساء غير الأقارب، فإنّه أنجب للأولاد..» (ابن منظور، مادة غرب) وقد عرفت الموسوعة الفلسفية الاعتراب اصطلاحياً بأنه «عدم التوافق بين الماهية والوجود، فالاعتراب نقص وتشويه عن الوضع الصحيح.» (زيادة، ١٩٨٦م: ٣٩) بينما يجعل التعريف النفسى لمفهوم الاعتراب أساساً واقعياً ملموساً نعرف من خلاله الأسباب الحقيقية التى تؤدى الى هذا السلوك فيوصف بأنه «انفصال الإنسان عن القيم السائدة لعدم امتلاكه زمام ذاته، فهو حالة من الشعور بالضعف وسيطرة الآخرين عليه، مما يؤدى إلى صراع الإنسان مع نفسه من أجل تجاوز أخطائه وإسقاطاته.» (جواد، ٢٠٠٦م: ٦)

ردود الأفعال تجاه الاعتراب

يُردُّ فعل المغترَب إلى أربعة أنماط هي: (١) المجاراة لكل من الأهداف الثقافية وهي التى اعتبرها "فروم" إحدى ميكانيزمات عملية للتكيف والانسجام وفقاً لآراء الآخرين، (٢) الابتكار والتجديد أى المجاراة مع الأهداف المحددة ثقافيةً مع الخروج عن الوسائل، (٣) رفض الأهداف والوسائل والبحث عن أخرى بديلة لها، (٤) الانسحابية وهو هجر المنسحب الأهداف الثقافية لبلوغ هذه الأهداف، فيُعدُّ المنسحب رافضاً للأهداف الثقافية. (عبدالله، ٢٠٠٥م: ٢٣٧) وخلاصة القول إنّ النتائج السلوكية التى يسفر عنها الاعتراب هي «الانسحاب أو العزلة، الخضوع أو الاستسلام، وأخيراً الثورة أو التمرد فى سبيل تغيير الواقع.» (بركات، ٢٠٠٦: ٥٩) توصل علماء الاجتماع إلى وجود علاقةٍ إيجابية بين الشعور بالاعتراب والعنف، ويرون بأنّ الاعتراب ليس نتيجةً فحسب بل هو نتيجةٌ وسببٌ فى آنٍ واحدٍ، ويبنى على ذلك أن تكون «الشخصيةُ الاعترابيةُ شخصيةً

قمعيةً والشخصية القمعيةً شخصيةً اغترابيةً في الآن الواحد.» (خليفة، ٢٠٠٣م: ١٥١)

أنماط الاغتراب في شعر "علي فودة"

وبعد هذا التقديم سنحاول الكشف عن الاغتراب في ديوان الشاعر "علي فودة" والتعرف على أنواعها التي وردت قصائده اعتماداً على نماذج شعرية منه لترسيم صورة شعرية واضحة شاملة من اغترابه وردود فعله تجاهه.

الاجتراب الاجتماعي

هذا الاغتراب هو الشعور بعدم التفاؤل بين الذات وذوات الآخرين ونقص المودة والألفة معهم وندرة التعاطف والمشاركة وضعف أواصر المحبة الاجتماعية مع الآخرين (أبودلال، ٢٠٠٩م: ١٧ و عباس، ٢٠١٦م: ٣٦) وبما أن العزلة والشعور بالاغتراب يعدان من العوامل المسؤولة عن تحقق الهوية «فالإنسان لا يستطيع تحقيق هويته إلا في وسط اجتماعي يتحقق فيه التفاؤل بين الذات وغيرها من الذوات، وأنه لا يدرك هويته إلا من خلال المسؤولية التي يستشعرها تجاه الآخرين.» (خليفة، ٢٠٠٣م: ٦٦) والاعتراب عن المجتمع يعني باختصار «شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع كالانقطاع عن الآخرين أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع، إضافةً إلى ما يصحب ذلك من إحساس بالألم أو الحسرة أو التشاؤم واليأس وما يرافقه أحياناً من سخط أو تمرد أو تقمة أو ثورة.» (سلامي، ٢٠٠٠م: ١٥١)

في مجال بروز هذا الاغتراب في شعر "علي فودة" علينا أن نقول إنه كان يرى نفسه مُستكرهاً عند الناس فهم لا يقبلون آراءه النافذة ولا يساندونه في أعماله، فبقى وحيداً مُستغرباً عن الناس وسُننهم وعاداتهم حيث يقول في تجسيد هذه الحالة: «حديقة ورد أنا / شتلها التجم والشهب / ودالية تديها عسل / وسنبلة قمحها ذهب / أنا الشعب والأرض والتمر / ونسر أنا / أنفه العرب.» (فودة، ٢٠٠٣م: ٣٦) فكما نرى أن الشاعر يشير إلى أنه عنصرٌ نافعٌ للمجتمع حيث يشبه نفسه بالحديقة والدالية والسنبلة والأرض والتمر والنسر، وكل هذه الظواهر ترمز إلى النضارة والطراوة والقدرة والطموح، فيهدف

شاعرنا إثبات هذه الصفات لنفسه عبر استخدام هذه التشبيهات الرائعة، ولكن في التفعيلة الأخيرة يكشف عن رأى آخر للناس، وبعد تكراره لفظ "أنا" وتأكيد على قدرته بين الناس يأتي عبارة "أنفّ العرب" لبيان ما يجري في البلاد من الظلم إزاء الأحرار والمنورين الأفكار؛ فعندئذ ينقطع عن الآخرين ويحس بالألم الشديد بسبب ما تعرّضهم من الغفلة والنسيان، فيشعر بالتشاؤم واليأس من إيقاظهم لأجل المقاومة أمام الأعداء والوصل إلى الحرية فتكون تلك الحرية سبب اغترابه المباشر عن المجتمع. وبما «أن مفهومى الاغتراب عن الذات والاعتراب عن المجتمع المعاصر يتشابكان وأنّ الإنسان المغترب عن الآخرين هو المغترب عن ذاته.» (حماد، ٢٠٠٥ م: ٢١١) فإنّ على فودة قد فقد ذاته الأصيلة فبالتالى هو مغترب عن ذاته أيضاً.

وفي قصيدة "فلسطين أمى" يشير إلى اغترابه في وطنه حيث يسخر مواطنوه منه، ولا يعرفونه إذ يتحدّث الشاعر عن قضايا جديدة لا يعرفها الناس، ولذلك يستهزؤون به، فهو يصوّر هذا المشهد هكذا: «غريب الدار / وحدق ثم حدق شامتاً فيا / وقهقهه ساخراً ومضى بوجه كان ليلياً / لأنى هاتم واحسرتاه / أنا غريب الدار.» (فودة، ٢٠٠٣ م: ٨٩) فهذه اللغة السهلة اليومية تكشف مشاعر الرفض لبعض السلوكيات التي يستهجنها هذا الشاعر من مجتمعه، وأيضاً من بين مظاهر الاغتراب الاجتماعى في هذه العبارات ما يبدو من إظهار الشعور الحاد بـ "الوحدة" الذى يصل لدى على فودة إلى الإشفاق على نفسه ومواساتها، فضلاً عن إدراكه صعوبة مهمة التغيير التي كان يسعى لتحقيقها، وعند ذلك يبدو وحيداً حزيناً مغترباً، فعزير على الشاعر الذى حصل على الوعى السياسى والاجتماعى العميق، وعاد إلى الوطن حتى يُنجى المواطنين منجور الأعداء ولكنه يرى الناس لا يقدرّون حقّ قدره فعو ينقطع عنهم ويشعر بالاغتراب عن هذا المجتمع. هذا الاغتراب عند على فودة يعود إلى أنّ الناس نسوا القيم التي كان يجتهد شاعرنا أن يجيها مرة أخرى، فأكد على هذا المقصود عبر استخدام "ردّ العجز على الصدر" بتكرار "غريب الدار" في بداية كلامه ونهايته، فبعمله هذا قرّر هذا المعنى في أذهان القارئ.

ربّما أجمل ما قال "على فودة" حول اغترابه في المجتمع هي الأبيات التي جاء بها في بداية قصيدة "عن البسطاء والثورة" مخاطباً أمّه: «كنت يا أمّاه أبكى خلف أسوار

المدينة/ بعدما كلت يداي / من طرقت أبواب المدينة/ كان كل الناس يا أمي نيام / وأنا كالتائر المذبوح للأسف أبكي / خلف أسوار المدينة / كنت كاللاشيء مرمياً، فداسوني بأغلى الأحذية.» (نفس المصدر: ٩٦) يتحدث الشاعر عن إعراض الناس عنه ويشبه نفسه إما بـ "التائر المذبوح" وإما بـ "اللاشيء" وكلاهما يدلان على فقدان والسلب. وفي عبارة "كان كل الناس يا أمي نيام" يشير إلى ما بينه وبين الناس من التضاد في مجال الاهتمام بالقيم الاجتماعية الجديرة بالشعب الفلسطيني، فعندما يرى نفسه ملتزماً بهذه القيم المنسية يغترب عن الناس ويسمّيهم "النيام". وبسبب اغترابه الاجتماعي يصور نقائص المجتمع ومثاليه ويكشف عن العيوب والآثام، ويعارض أنماط السلوك الاجتماعي المنتشر بين الناس ولا يجد نفسه راضياً كل الرضا أو متوائماً مع المجتمع. فأضحى محكوماً باللامعنى يواجه فراغاً هائلاً، نتيجة لعدم توفر أهداف اجتماعية تعطي معنى لحياته، وتحدد اتجاهاته وتستقطب نشاطاته.

كذلك يصور طرده من قبل الآخرين، ويشكو إلى أمه في قصيدة "الناس": «حين طرقتُ البابَ الأوّل / أوصد في وجهي الباب / فعدتُ وحيداً عدتُ شريداً / فحلفت بعينيك بأنّي ما كنتُ بيومٍ رعيداً / لكن الحظّ العائر أشقاني / يا أمي فطرقتُ الباب الثاني والباب الثالث / صفقوا في وجهي الأبواب / خنقوا في صدري الإحساس / عذبني يا أمي عذبني الناس.» (نفس المصدر: ١٤٠) إذا أمعنا في هذه العبارات نرى أنّ كثيراً من الألفاظ والعبارات بما فيها من الدلالة على التوحّد والحزن تدلّ على اغتراب الشاعر في المجتمع مثل "أوصد الباب"، "وحيداً"، "شريداً"، "أشقاني"، "صفقوا الأبواب" وأيضاً "عذبني". كذلك إنّ الذي سبب اغتراب الشاعر عن المجتمع هو التضاد بين القول والفعل عند الناس الذين كانوا يشناقون إلى ما كان ينشر على فودة في المجالات حول آرائه الاجتماعية، ولكن عندما رجع هذا الشاعر المصلح إلى بلده تركوه وحده ولم يصاحبوه، فلذلك شعر بالألم الشديد في قلبه بسبب غفلة الناس واغتراب عن هذا المجتمع الغافل. وجرّاء هذه الأزمات النفسية والاضطرابات الفكرية اتّسعت المسافة بينه وبين الجماعة ولم تستطع وسائل الحضارة والمدينة أن تحدث توافقاً أو انسجاماً بين الفرد وجماعته، وما كانت بإمكانه إزالة القلق والتوتر، فبقى في حالة عزلة وضعفٍ

وضيق. وهو استخدم تقنية "الحوار" ليجلب انتباه القارئ ويحثه على التعمق في كلامه؛ لأنّ الحوار «يبين ما في نفس الشاعر من الأحاسيس المفرحة أو المؤلمة وأيضاً الأزمات الاجتماعية والنفسية التي يعاني منها الشاعر.» (سليمانى، ١٣٨٣ش: ٣٦٥)

الاغتراب السياسى

يعدُّ الاغتراب السياسى نوعاً كثير الشبوع بين أنواع الاغتراب في المجتمع المعاصر، وفي المجتمعات العربية بوجه خاص، يعرف البعض الاغتراب السياسى بأنه «حالة من الشعور بعدم الرضا وخيبة الأمل والانفصال عن القادة السياسيين والسياسات الحكومية والنظام السياسى، ويرى أن مشاعر الاغتراب تضمّ علي الأقل خمسة مكونات وهى الشعور بالعجز، الاستياء، عدم الثقة، الغربة واليأس.» (عبدالوهاب، ٢٠٠٠م: ١١٤) ومن منظر آخر الاغتراب السياسى هى حالة يشعر فيها الإنسان بعجزه عن المشاركة في الأمور السياسية وانشغاله عن كل التطورات السياسية علي الصعيدين الداخلى والخارجى جراء السياسات التعسفية التي تفرضها السلطات علي معارضيهي في الحكم (الرواشدة، ٢٠١١م: ٢٦٧)، وبما أنّ الشعراء لهم رسالة أمام شعبهم ومصير بلادهم فنرى في أشعارهم مظاهر هذا القسم كثيراً جداً. فالاغتراب السياسى عند الشعراء «هو إحساس الشاعر الملتزم بالغربة عن حكومته وعن النظام السياسى، واعتقاده بأن السياسة والحكومة يسيرها آخرون لحساب آخرين، وهو يشعر في هذه الحالة بأن المجتمع والسلطة لا يعنيهما أمره وبأنه لا قيمة له في ذلك المجتمع، فهو لا يميل إلى المشاركة السياسية، لأن مشاعر اللاقوة السياسية تشكل حواجز نفسية تمنعهم من المشاركة في الأنشطة السياسية.» (عبدالوهاب، ٢٠٠٢م: ١٣)

إنّ الشعور بالاغتراب السياسى لدى "علي فودة" متجذّر في وعيه الفكرى والسياسى الذى كان لا يستطيع أن يتحمّل أى نوع من الظلم والجور ولكن أنى تلفت وجد القهر والاستغلال، ووجد أنه لا عزم لأبناء وطنه إلاّ المتعة واللذّة. يتمثل هذا الاغتراب في شعره عندما يشير إلى البون الشاسع بينه وبين الآخرين بسبب غفلتهم عمّا يدور حولهم من النهب والدّمار حيث يقول: «في المقهى / يختلط الحابل بالنابل.. تختلط الأصوات /

يختلط الأحياء مع الأموات / ها هم صبحي في المقهى / ها هم يلتفون على طاولة الزهر / وفي خاطرهم بعض الحسنوات / "شايًا" / حيفا تأكل شفتيها النيران / "يانسونًا" / الجوع يغني في الهند وفي الباكستان / "كولا بالتلج" / أنغولا دم يطلب ثأراً من جند الأمريكان / شايًا.. يانسونًا.. كولا بالتلج / وأنت؟ / أنا؟ هات النار مع الصودا هات / يشتعل العالم من حول الصبح / وهم يلهون.. يلوكون القات.. «فودة، ٢٠٠٣ م: ٣٦٢» فالشاعر لم يهتم بالقضايا السياسية لفلسطين وأزماتها فحسب بل كان يعاني مما يحلُّ على البلاد الأخرى كالهند والباكستان فيشكو مما سيطرَ عليها من الغفلة والنسيان والذلة؛ إذ أبعَدَ العدوُّ النَّاسَ وأشغَلهم عن التزامهم بالقضايا الاجتماعية والثقافية؛ ومن مظاهر هذا الاغتراب في شعره هو القلق والشك والخوف من المستقبل؛ لأنَّ النَّاسَ لا يشاركون في القضايا السياسية ولا يهتمُّ مصيرُ البلاد وما يجري فيه من الظلم والاستبداد، فهذا الأمر أيضاً جعله الانتقاع عنهم في الأمور السياسية. فهو يبيِّن أهدافه العالية التي يريد تحقُّقها وحيداً دون أن يشاركه أبناء شعبه الغافلين حيث يقول: «غداً يفهم النَّاسُ لحنى / وكيف تنام الذئاب بحضن الرضاع / وكيف يهيم أناسٌ بسمِّ الأفاعى / غداً يفهم النَّاسُ في هيئة الأمم / بأنِّي عنيدٌ أغنى أساطير جرحى بلا وهن / وأخلق ألف نشيد من العدم.» (نفس المصدر: ٦٣ - ٦٤)، يعاني على فودة في هذه التفعيلات من عدم مشاركة النَّاس معه في محاربة الأعداء المحتلِّين وعدم اهتمامهم بما يجري في وطنهم من الجور والظلم، فيرى نفسه وحيداً في تحقيق أهدافه الثورية ولكنه لم يستسلم أمام اليأس والحبيبة بل عزم أن يثورَ على أسباب الظلم ويهدمها وإن لم يُساعدَه أحدٌ. كذلك سخط من المساسة الخونة الذين دمروا فلسطين فشبَّههم بالذئاب حتى يشير إلى مظالمهم العديدة، ويعكس في هذه النماذج كلَّها مدى ضيقه بالواقع السياسي والشوق للوطن؛ لأنَّه محبٌّ صادقٌ فهو يكره كلَّ الخائنين. فنستطيع الإشاره إلى أنَّه وصل إلى العزلة الاجتماعية كحالة تتعرَّض لها الإنسان المغترب سياسياً و«تمثَّل هذه الحالة في التمرد والثورة.» (الفارس، ٢٠٠٤م: ٥)

في هذه التفعيلات استخدم "على فودة" الاستعارات المتناسبة مع أحوال الأعداء، حتى يشير إلى جنايات الأعداء ومدى ظلمهم. بما أنَّ بعض النقاد يرون «عندما يمرَّ

الإنسان بأوضاع يفقد فيها نفسه ويصبح غريباً أمام نشاطه وأعماله هناك فى ذلك ما قد يدفعه إلى الثورة كى يستعيد كيانه، فإذن يصير الاغتراب دافعاً من دوافع الثورات.» (خليفة، ٢٠٠٣م: ٣٠) عندما يرى "فودة" رجال السياسة لا يهتمون به ولا يشاركون معه فى تحقيق أهدافه الإصلاحية، فيعزم على هدم سياسات العدو والدفاع عن وطنه المحتل، وذلك بسبب أحزانه وقلقه جراء السياسات التى حملتها البلدان المعادية وأحكامها القاسية على فلسطين لذلك يلزم شاعرنا نفسه لرفع الأزمات، ولكن عندما يرى نفسه وحيداً فى هذا الأمر يشعر بالاغتراب السياسى وهذا الاغتراب لا يوحى بانفصال على فودة عن جماعته إلا عن طريق الرفض للتصرفات وانعدام شعوره بمغزى التوافق مع الحياة التى يرفضها، من ثم يشعر بشىء من العجز فى المواءمة والمصالحة بين إرادته وإرادة جماعته، وهو شعورٌ بالانفصال الراض للسلوك غير المقبول إذا كان موضوع الاغتراب القضايا السياسية ورجال السياسة.

الاغتراب النفسى

الاغتراب النفسى مفهومٌ عامٌ وشاملٌ يشير إلى الحالات التى تتعرض فيها وحدة الإنسان الشخصية للانقطاع أو للضعف والانهيار بتأثير الأعمال الثقافية التى تتم داخل المجتمع مما يعنى أن الاغتراب يشير إلى النمو المشوّه للشخصية الإنسانية حيث يفقد فيه الإنسان مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة. (خليفة، ٢٠٠٣م: ٨١) وفى تعريف آخر هو «شعور الفرد بالانفصال عن الآخرين أو عن الذات أو كليهما.» (نعيسة، ٢٠١٢٩م: ١٢٠) يتحدّد مفهوم الاغتراب فى الشخصية بالجوانب المختلفة مثل حالات عدم التكيف التى تعانها الشخصية، من عدم الثقة بالنفس، والمخاوف المرضية والقلق والإرهاب الاجتماعى، غياب الإحساس بالتماسك والتكامل الداخلى فى الشخصية، ضعف أحاسيس الشعور بالهوية والانتماء والشعور بالقيمة والإحساس بالأمن.» (وظفة، ١٩٩٨م: ٢٤١ - ٢٤٢) إن "على فودة" يشير فى ديوانه إلى أن الدنيا فانية والناس هائمون فيها دون أن يعرفوا أهدافهم قائلاً: «ها هنا أذفع من عمرى الضريبة/ ما حياى دون أن أدرى طريقى» (فودة، ٢٠٠٣م: ٩٧) فى هذه العبارات

يظهر هذا الشاعرُ اغترابهُ النفسى الذى يتمثل فى انفصاله عن العالم بتمامه وحتى عن نفسه أيضاً، وهذا يدل على أنه لم يدرك مفهوم الحياة وغايتها، فاضطربت نفسه وذبت أحاسيسه؛ إذ كان لا يعرف مصيره فى الحياة والطرق المؤدية إلى فهم حقيقة العالم وأساره فكأنه لا يعرف هويته ويفقد ثقته بنفسه. وأصاب بـ "اللامعنى" الذى «يقصد به نقص الإدراك والفهم لكل المعانى المرتبطة بأوجه الحياة، وعدم قدرة الفرد على فهم الأشياء وتفسيرها لدرجة تجعله غير قادر على إعطاء معنى حقيقى لسلوكاته، وعدم الاهتمام بالنتائج يفقده الرغبة فى الإقدام على الحياة، ويسلبه إرادة الفعل وتضطرب لديه هوية وجوده». (عبدالسميع، ٢٠٠٧م: ٤٧) ويحس بأن الأحداث والوقائع المحيطة به قد فقدت دلالتها ومعقوليتها، فيصور على فودة هذه الحالة هكذا: «كجثة طافية فى الماء / كشهوة غريبة الألوان والسماء / ووجدت فوق الأرض لا أعرف من أنا / ووجدت مثل نعمة نشاز / أتيت لا أدري.. من الألزاس واللورين أم من هجرة القوقاز / أتيت.. من أين أتيت؟! مضيت.. لا أدري إلى أين مضيت.» (نفس المصدر: ١٦١) وهذه العبارات مع ما فيها من التشبيهات الرائعة تمثيلاً جيّداً لاغتراب الشاعر عن خلجاته الروحية والتناقضات التى يرى بين عالمه النفسى والعالم الواقعى حوله، فابتعد عن نفسه شديداً فأصاب على فودة بأزمة الهوية حيث لا يعرف حقيقة ذاته ومبدأها ومقصدتها، ثم يشعر بالقلق وفقدان الأمن فى هذا العالم وأهله الخونة. كذلك أصاب بالإحباط جراء اغترابه النفسى الذى «يرتبط بالشعور بخيبة الأمل والخسارة والفشل والتأخر والشعور بالعجز التام واستحالة تحقيق مستوى الطموح والشعور بالقهر وتحقيق الذات.» (عبّاس، ٢٠١٦م: ٤١) فعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن هذا القسم من الاغتراب فى ذروة أقسام الاغتراب؛ لأنه عندما لا يعرف الإنسان نفسه فإنه لا يستطيع أن يدرك مفهوم الاجتماع والعلاقات الاجتماعية والسياسية. وفيما يتعلّق بناحية الأداء الفنى إن استخدام الألفاظ والعبارات "لا أعرف من أنا"، "لا أدري"، "من أين أتيت" و"إلى أين مضيت" يدل على هذا الاغتراب عند الشاعر، ويؤكد على التوازن بين أسلوبه وبين خلجاته النفسية. والأسئلة المتكررة المشتملة على حيرة الشاعر تجاه مصيره فى الحياة تؤثر على القارئ لإدراك الاغتراب النفسى عند هذا الشاعر.

نعم، كان الاغتراب يُضجرُ "على فودة" ويجعله يتعب من الحياة ويكره نفسه، وما يدلّ على هذه الحالة الروحية عند شاعرنا هو الأبيات التي يُدعن فيها بأنّه ليس للحياة فائدة، والعيش في هذه الدنيا عبثٌ جدّاً إذ ليس للإنسان أيّ حظٍّ من العالم؛ لذلك يشعر بالاغتراب فيه؛ فينشد في هذا المعنى: «زائفةٌ حياتنا البلهاء يا حبيبتى / عقيمةٌ حياتنا لا تنجب الرّخاء / مضحكة أنت، أيا حبيبتى / لأننا نعيش ههنا / في عالم ليس لنا / ليس لنا / ليس لنا.» (نفس المصدر: ١٦٢) فإذا دققنا في الدلالة المعنوية لكلمتي "زائفة" و"عقيمة" نطلع على ما فيها من المعاني السلبية ودلالاتها على الانقطاع عن الخير. كذلك إنّ تكرار عبارة "ليس لنا" يدلّ على اغتراب الشاعر عن نفسه وإدعائه بأنّ العالم لا يتعلّق به فهو لا يعرف إلى أين يمضي، ومن خلال هذه الألفاظ يعبر عن فلسفته في الحياة، وهذا الإحساس عند على فودة يقارب إحساس المتصوفة وإدراكهم، فالاغتراب فيه نزوعٌ صوفي وعود إلى الله، وهو يدرك أسرار الوجود في منحاه الاغترابي، فانفصل عن العالم وفقد ما فيه من الصلات المعنوية للإنسان بينه وبين نفسه، فسلب عنه الأمن والقرار واستولى عليه الخوف المرضي والاضطراب الذي يتمثل في غياب الإحساس بالتكامل الداخلي في الشخصية. في موضع آخر يبيّن على فودة انفراده وذلّته في الدنيا قائلاً: «وحيداً أسير.. وحيداً وحيداً / فعند احتباس الغيوم / أمدّ يدي للنجوم / لأقطف واحدة.. فتعود يدي خاوية / وعند انهمار المطر / أحسّ الخطر / فأقبع في الزاوية / ولكنني حين ينطفئ النور ليلاً.. أسير / وحيداً أسير أسير / وبين يديّ دمي، ودموعي / وقلبي الكسير! / ذليلاً وقفْتُ بعزّ الظهيرة / ذليلاً وقفْتُ وفي القلب حيرة / ذليلاً وقفْتُ وفي القلب حسرة / وقفْتُ وقلبي يدقّ، يدقّ، يدقّ» (فودة، ٢٠٠٣ م: ٤٠٦)

فيريد الشاعر أن يقطف نجمةً وهي رمزُ النور والهداية ولكنه يصاب بالخيبة واليأس ويبقى في الظلام تحت الأمطار وهي ترمزُ إلى الخطرات والأزمات، وإنّ انطفاء النور يرمز إلى عدم وصوله إلى المقصود حيث يشير في العبارات التالية إلى وحدته وحيرته وهزيمته النفسية كما يتحدّث عن حسرته وعدم جرأته النفسية وكلّ هذه الحالات لا نراها إلا فيمن يغترّب عن نفسه، ولا يعرف مسيرته في الحياة.

تتضمّن الأسباب الخارجية للاغتراب النفسى عند على فودة في التيارات الفكرية

العالمية، والاستعمار وأثره في أوضاع فلسطين سياسياً واجتماعياً وثقافياً كما «تعدّ هذه الأوضاع من أهمّ المؤثرات التي تؤدّي إلى الاغتراب النفسى في الإنسان.» (عبّاس، ٢٠١٦م: ٤١ - ٤٢) يعود هذا الاغتراب إلى العلاقة المتوتّرة التي تربط الفرد بمجتمعه والتي تجعله يفقد توازنه النفسى وعلة وجوده وجوهره، وبذلك يدخل عالم الاغتراب الذى يشلّ مقدرته على الفعل والتحكم في مجرى حياته ويؤدّي إلى الانفصال عن الآخرين والتخلّى عن الحياة الاجتماعية كآخر مرحلة له، وهذا يوحى بأنّ «أغلب المغترّبين نفسياً كانوا مغترّبين اجتماعياً، بمعنى أنّ اغترابهم كان في جانب كبير منه أثرٌ من آثار نبذ المجتمع أو تجاهله أو مطاردته لهم، ومن ثمّ أصبحوا غرباء عن الآخرين.» (بوعلامات، ٢٠١١م: ٤٥) وهذا الاغتراب في شعر على فودة تمثّل في حالات عديدة مثل الفناء النفسى والإحساس بالدونية والعدم والتبرّم والعزلة؛ ذلك لأنّ الحياة في اعتقاده صارت لا معنى لها ولا قيمة تُرجى منها. من ثمّ تتعدّد أساليب الحياة وتشيع مظاهر الاختلال النفسى وتصبح الحياة دون فائدة والسعى فيها لا ينتهى لغاية محدّدة أو هدفٍ معيّن. ونتيجة لسيطرة المادة تحدث الأزمات النفسية والاضطرابات الفكرية وتتسع مسافة البعد بين الفرد والجماعة، ولا تستطيع وسائل الحضارة والمدنية أن تحدث توافقاً أو انسجاماً بين الفرد وجماعته ولا يمكنها إزالة القلق والتوتّر فيبقى الإنسان في حالة عزلةٍ وضعفٍ وضيقٍ.

الاغتراب الإخوانى

هناك صلة وثيقة بين الحنين إلى الأرض والحنين إلى أهلها؛ إذ «الاغتراب عن الوطن يسبّب الحنين إلى ما فيه من الأهل والأصحاب.» (الربيعى، ٢٠١٣م: ٢٥٥) وقد يكون منشأ الاغتراب هو بعد الإنسان عن أناس يعدّهم أحبّاً له «فالمراد من الاغتراب الإخوانى هو أنّ الإنسان قد عاشراً أناساً كثيرين، وانعقدت بينه وبينهم صداقات وسبيعة، إلّا أنّه سرعان ما يفقد هذه الصداقات؛ لأنّها ليست قائمة على الوفاء والمؤازرة في وقت الشدّة، ولهذا فإنّه يندب حظّه العاثر.» (أشكورى، ١٤٣٦ق: ٥٥٢)

توجد في مواضع كثيرة من ديوان "على فودة" نماذج من اغترابه بين الأصدقاء منها

قوله لهم: «لستُ من روادِ مقهاكم أنا/ فاعتقوني/ لا تلوكونا لحمى الأخضر لا/ لا تغوصوا في جراحى وشجونى/ لستُ منكم أصدقائى/ فدعوني» (نفس المصدر: ١٣٦) وفي أفعال الأمر والتَّهى في هذه العبارة دلالة واضحة على وحدته بين الأصدقاء واغترابه عنهم وعنفه كـ "اعتقوني"، "دعوني"، "لا تلوكونا لحمى" و"لا تغوصوا في جراحى"، وأيضاً في صراحته عند بيان سخطه «لستُ من روادِ مقهاكم أنا» و«لستُ منكم أصدقائى» ويبدو أنه يتسَّ عن الأصدقاء وعن حبِّهم ومساندتهم لنفسه؛ فلذلك يطلب منهم أن يتعدوا عنه كما يدلُّ ذلك على مفارقةٍ في قوله «لستُ منكم أصدقائى» لما يوجد بين بداية كلامه ونهايته من المعنى المفارقة عندما يفصلُ نفسه من جماعتهم أولاً، ثمَّ يخاطبهم بالأصدقاء في نهاية كلامه. وملخَّص القول أن على فودة وصل إلى مرحلة الرفض وهى «المرحلة التى تتعارض فيها اختيارات الأفراد مع الأحداث والتطلعات الثقافية وهناك تناقض بينما هو واقعى وبينما هو مثالى وما يترتب عليه من صراع الأهداف». (الرواشدة، ٢٠١١م: ٢٧٠) وفي هذه المرحلة يكون الفرد معزولاً على المستويين العاطفى والمعرفى عن رفاقه؛ إذ ينظر إليهم باعتبارهم غرباء.

نعم، رضى شاعرنا بالابتعاد عن هؤلاء الأصدقاء الذين يسخط عليهم، ويتذكَّر خداعهم إيَّاه، وذلك من خلال تشبيهِهم بإخوة النبي يوسف (ع) الذين رموا بالنبي (ع) في البئر، ولكنَّ البئر في هذه العبارة ترمزُ إلى الوحدة التى يعانى منها الشاعر، وبعد ذلك يتحدَّث عن استخفافهم بالشاعر وغدرهم به ويقول متحسِّراً: «فرمانى الإخوة فى قاع البئر/ غمرونى بين زوايا النسيان/ لدغونى لدغة أفعى/ قاومت التيار، ولكن الغدر/ ظلَّ كسبيل الزمن الجارف لا يعرف معنى الرِّحمة/ فهويتُ صريعاً تحت سنايك خيل الأهل/ أردانى سهم الذلِّ، فصرتُ ذليلاً/ أردانى سهم الأهل فمتُّ قتيلاً/ آه من غدر الأحباب.» (نفس المصدر: ١٤٩) وقد التفت على فودة إلى ما يبعث خفى الشجن ويثير هواجس النفس وأوهامها معبراً عن همومه ووحدته مغترباً بين أصدقائه، ولعلَّ حديثه هذا مرتبطٌ بالحديث عن حالته النفسية، وتبدو الكآبة مزاجاً فطرياً دون سبب واضح إلا ما يرتبط بعلاقته هو بالأصدقاء والأحباب. ففي هذه التفاعلات صوِّر وحدته بينهم وما أصابه من الآلام والمصائب بذكر قصة النبي يوسف (ع). وبما أن على فودة أتى بالعبارات «فهويتُ

صريعاً تحت سنايك خيل الأهل / أرداني سهم الذلّ، فرصتُ ذليلاً / أرداني سهم الأهل
 فمتُّ قتيلاً» التي تدلّ على عجزه، والعجز هو «عدم قدرة الفرد علي ضبط وتوجيه
 حياته، وتعبير صريح عن فقدان القدرة علي تحقيق أهدافه، وهذا ما يجعل الفرد يتسم
 بحالة من الإحباط، بسبب نقص الفاعلية لدي الفرد وعدم القدرة علي تفعيل الحياة
 والحضور الايجابي والفعال في الحياة العامة.» (عبّاس، ٢٠١٦م: ٤٣) فإنّ شاعرنا فقدَ
 معنى وجوده، والقدرة علي امتلاك إرادة الفعل والسيطرة والتوجيه، بذلك تنطفئ عنده
 سمة الطموح والتخطيط للمستقبل.

في موضع آخر سمّي على فودة أصحابه "اللا أصحاب" ويقول: «وضحك الأصحاب
 اللا أصحاب» (نفس المصدر: ٢٠٥) وفي هذا المجال أدلى برأيه في تصوير جور
 الأصحاب ومهاناتهم إيّاهما، وتظهر قيمة هذه العبارة من خلال الأثر الذي تحدّثه في
 المتلقّين، وتكتمل قيمتها الفنيّة عندما تدفع القارئ للبحث عن المعنى الحقيقي خلال
 غياهب النصّ وبنياته اللغوية والمتناقضة. كذلك يشير على فودة إلى أنّ الأصدقاء لم
 يبقوا على وفائهم القديم وصدقاتهم الماضية قائلاً: «يتنكر لي أحبابي / لا أنتكر / يتغيّر
 أصحابي / لا أغيّر» (نفس المصدر: ٢٦٠) وهذا الإنكار والنسيان يحرق قلب الشاعر
 ويشتدّ اغترابه عن الأصحاب الذين كان قد أنس بهم قبل هذا، ولكنّ الآن صاروا
 كأنهم أجنب عنه ويحاطبهم قائلاً «أطعمتكم قلبي وروحي الدامية / لكنني .. / رجمت
 بينكم كزانية / فحينما أتيت في الصباح / طردتني الأشباح / وحينما رجعت في المساء.
 فوجدت بالخواء والكراهية» (نفس المصدر: ٢٩٦ - ٢٩٧) ويهجن نسيانهم الشاعر
 وطرده ويذكرهم الزمن الماضي بما فيها من أعمال شاركوا فيها ويتعجب من إعراضهم
 عنه في الزمن الراهن مخاطباً لهم: «عشقنا سويّاً / وحضنا المكارك دوماً معاً / رجبنا،
 خسرنا سويّاً / فكيف إذن تمّ هذا الفراق؟ / أينسى الرفاق القدامى الرفاق؟!» (نفس
 المصدر: ٤٢١) إنّ "على فودة" يذكر أصدقاءه بما كان بينه وبينهم من الصلات العميقة
 والصدقة الشديدة ولكنهم نسوه فهذا ما يؤلمه، فهو يأتي بالاستفهام الإنكاري للدلالة
 على أنّهم لا يجدر بهم أن يقطعوا الصداقة بينهم، فالواقع أنّ بعض أزمات هذا الشاعر
 إفرازٌ لشعورٍ متنامٍ عندما يرى أصدقاءه وقد تغيّرت أحوالهم ودارت مع الأيام أخلاقهم

بينما هو ثابتٌ على مبادئه ومسالكه لا يتحوّل عنها ومن ثمّ يشعر بالاغتراب عنهم على نحو ما أكد في قوله: «عرفتكم يا أصدقاء واحداً فواحداً/ لبستكم كالثوب في الصيف وفي الشتاء/ لبستكم يا أصدقاء/ ثمّ خلعتكم.. وكان الحزنُ شاهداً/ والصدق شاهداً/ خلعتكم.. لأنّ حبّكم سدى/ وبغضكم سدى/ خلعتكم يا أصدقاء واحداً فواحداً/ ثمّ دفتتكم بقاع القلب.. صار القلب مجهداً/ فسرتُ في الصحراء وحدي تائهاً مشرداً/ لا أحد يعرفني فيكم ولا.. / أعرف فيكم أحداً/ أوّاه من يبعد عن صدرى المدى» (نفس المصدر: ٤٢٩)، ففي هذه العبارات نجد سخطة وعنفه كردّة فعله إزاء خيانة أصدقائه وطردهم الشّاعر، فإنّ تكرار عبارة "خلعتكم يا أصدقاء" وتعليل الشاعر في عبارتي "لأنّ حبّكم سدى/ وبغضكم سدى" يدلّ على إعراضه عن أصدقائه، فهو استخدم الحوار والخطاب لبيان غرضه والتأكيد على سخطه. يجدر بالإشارة أنّ على فودة أتى بالروى الممدود وبما أنّ «الحروف الممدودة تدلّ على أحزان الشاعر وما في نفسه من الكآبة واليأس» (السعدني، ١٩٨٧م: ٣٧) فهذا الأمر ساعده لبيان اغترابه. فهو وصل من الاغتراب والوحدة إلى درجة يألف الأعشاب والحيوانات ويتحدّث معهم ويشكو من ظلم الأصدقاء مخاطباً نرجسة: «كان لى بينهم أصدقاء/ شربنا هموم الثغرب يوماً معاً/ شكونا الزنازين يوماً معاً/ وجعنا/ بكينا/ ونمنا معاً/ وها أنا هذا الآن يا نرجسة/ نبيّاً يحوم حول الينابيع، لا يرتوى.. ظامناً/ ظامناً/ ظامناً والجرار تنادى فمى / ما اقتربتُ/ غريباً وقفّت أراقب أبوابكم.. كلّها موصدة/ ولا نُحْتُ عند تماثيلكم/ آه في نيتي أن أغادر» (فودة، ٢٠٠٣م: ٣٠٩) وهذا الحوار المليء بالحزن والحسرة هو تقنية الشّاعر الفنيّة لبيان اغترابه بين الأصدقاء والإخوان، وهو يعامل خيانتهم وينصرف عنهم ويميل إلى الطبيعة ومظاهرها. ويؤكد على سوء حاله بتكرار كلمة "ظامناً" كما استخدم ألفاظاً لبيان اغترابه وحزنه مثل "وجعنا" و"بكينا" ودراسة هذه الألفاظ يخبرنا عمّا يدور في نفس الشاعر من الآلام والأحزان، كذلك نشاهد في خطابه زرافةً ويقول: «يا زرافة سلبوني نصف قلبي أشاحوا وجههم عنّي / وما ردّوا السلام» (نفس المصدر: ٣٨٤) فيبدو أنّ هذه الألفة بالأعشاب والحيوانات أحسن دليل على اغترابه عن الأصدقاء وخير تقنية لبيان اغترابه بينهم، فهو وحيدٌ جدّاً لا يجد صديقاً يأنس به ويشكوله من

أحزانه؛ فلذلك أصاب بحجية وفشل في حنينه إلى هؤلاء الأصدقاء، ولم يدرك محبتهم ومساعدتهم قط، فمن الواضح أن يحس شاعرنا الاغتراب بين هؤلاء الرفاق. فابتعد عن المدن ولجأ إلى الطبيعة في خياله كما ردّ هذا الاغتراب بالإمعان في الرمزية؛ إذ كانت "الترجسة" و"الزرافة" رمزى رقيق شفيق يساعد الشاعر في تحقيق أهدافه. فالطبيعة وما فيها من النباتات والحيوانات هي بمثابة الوادى المقدس الذى يصون النفس ويحميها من الشطط؛ ولذلك فالطبيعة مأوى لعلى فودة المغترب وإن أمنية هذا الشاعر الطريد هو اللجوء إليها. وعلى هذا النحو يتضح أن ميل على فودة للطبيعة يحمل شعوراً بحب الحرية والرفض للحياة غير مقبولة، وتكون الطبيعة رمزاً لأحواله المتغيرة فقد تسلل وسط الحديث عنها أحاسيسه ما بين حزن وفرح وبأس وأمل وانثقت من وجدانه هواجس من الشكوى والتشاؤم والكآبة.

الاغتراب الزمانى

إنّ الاغتراب الزمانى هو اغتراب تاريخى بمعنى أنّ المغترب زمانياً يمكن أن يكون مغترباً عن الحاضر أو الماضى أو المستقبل أو عنها جميعاً و«يتجلّى في عدم تقبله وتحقيره وعدم الانتماء إليه، فهو حاضر الهزائم والانكسارات العربية المتلاحقة والعقم والتخلف المزرى.» (بركات، ٢٠٠٧م: ١٧١) يعدّ الاغتراب الزمانى من الأمور الغامضة؛ لأنّ الارتباط بين الإنسان والزمن أكثر غموضاً من الارتباط بينه وبين المكان، «فالمكان ثابت نسبياً أمّا الزمان فمتغير وبالتالي فتأثيره النفسى على الإنسان أكثر غموضاً أيضاً، فالإنسان قد يشاهد شيئاً معيناً أو يحسّ بإحدى الحواس الخمس أو بأكثر من حاسة واحدة بينما يحتاج الإحساس بالزمن إلى الحاسة الفكرية أو الذهنية.» (العبدالله، ٢٠٠٥م: ٢٨)

قد ظهر هذا النمط من الاغتراب لدى كثير من الشعراء في الأدب العربى. فقضية الزمان، وتوالى الأيام، وانقضاء العمر، وهجوم المشيب كلّها أمور كانت ولا تزال تستأثر اهتمام الأدباء والشعراء، و«غالباً ما يتمثل الاغتراب الزمانى في حنين الشاعر إلى سالف الأزمان، وبالتحديد عهد الشباب والصبا والطفولة، ذلك أنّ الإنسان لا يتحمّل

مشاقّ الحياة، ولا يدرك معانيها الصعبة، فتبدو له الطفولة وبراءتها جميلة وادعة؛ فمن هذا المنطلق يمكننا القول بأنّ كلّ واحد منّا يعاني الاغتراب الزماني بشوقه إلى أيام الطفولة الحاملة. إلاّ أنّ الشعراء تمكنوا من بثّ لواعجهم وآلامهم الزمنية في أبيات الشعر وصوّروا هذا الحنين إلى الماضي أحسن تصوير. «(أشكوري، ١٤٣٦ق: ٥٤٣) قد يكون الاغتراب الزماني بالتطلع نحو مستقبل واعدٍ، وقد يقصر على حبّ الماضي. لم يُستثنَ "على فودة" من هذا الأمر، بل إنّ اغترابه الزماني يفوق اغترابه المكاني بأضعاف مضاعفة، فهو مثلاً يتذكّر أيام صباه ويقول: «وجدى كان يركب مُهره الأشهب/ يَجُوبُ الأرضَ والأشجارَ والزَّرعا/ ويبسم للثرى المجبول بالنوار.. لا يتعب/ وعند الليل يجمع حوله القرية/ فيسألهم عن الأمطار والموسم/ وعن مستقبل الأبطال في القرية/ ويحكى طاعنٌ في السنّ عن "نعسة" وعن "أدهم"/ وعن أنثى أحبّت عبدها الأسمر/ وعن "أجوج" عن "أجوج" و"الأعور"/ أبي قد مات قبل ولادتي/ ويقال عنه بأنّه قد كان يعشقني/ وحتىّ قبل أن أولد/ ويهوى عزّتي/ وأمّي ياسمينة/ تعشق الطّابون والنّارا/ وتعرف كيف تجمع حزمة الدفلى/ وتصنع من نبات البرّ زنّارا/ وتعرف كيف تطبخ من بقول الحقل "عكوباً"/ وكيف تكرّم الجيران والأحباب زوّارا/ وتعرف كيف تعقص شعر طفلتها/ وكيف تزيّن الدّارا/ بإكليل من الليمون والنّرجس» (فودة، ٢٠٠٣ م: ٨-١١) وتصور الماضي على هذا النحو هو تحوّل من حياة الصبا والذكريات إلى يأسٍ وجمودٍ وقاتمةٍ وكأنّ على فودة يهرب من واقع مزيفٍ إلى خيالٍ رومانسي طاف بأنسٍ عهد الطفولة ورتابته وجماله الطبيعي وما كان له من شأنٍ وأثرٍ، فقد كان رمزاً لكلّ طيبٍ وجميلٍ في حياته الماضية وما يضمّ كلّ ذلك من حبّ ووفاء وبما يمثله في نظره من عالمٍ مثالي، غير أنّ على فودة لا يستطيع إعادة الماضي فهو يبحث عن الزمن الضائع المنصرم ويفتّش عنه فيما يسترجعه ويرسمه خياله، وهي مجرد أمنيات، فالضيق من الحاضر رحيلٌ للماضي والماضي يمثّل أشياء كثيرة فيها حياة الهدوء والنفرة والمثالية والعالم الذي يهرب إليه عالم بسيط. من ثمّ يشعر بالاغتراب في العالم الحديث، فهو دائم الضيق وهو المغترب عن الزمن الراهن وهو في سفرٍ زادته فيه الخيال.

مما يجلب أيضاً الانتباه في هذه المقاطع هو الدلالات الصوتية للقافية حيث استخدم

”على فودة“ من القوافي الساكنة التي «تهدف إلى خلق الانتظار في نفس القارئ وتشويبه إلى قراءة القصيدة حتى آخرها» (يوسفى، ١٣٦٣ش: ١٠٤) وبعد ذلك استفاد من القوافي الممدودة الدالة على آلامه الشديدة واشتياقه الوافر إلى أيام صباه وبواسطة هذه التقنيات يتذكر ماضى فلسطين وخواطره الجميلة آنذاك، وربما يكون غرضه الرئيسى من هذا الأمر هو أن يتذكر لنفسه ذلك الفرح والهدوء الذى كان يجرى بين الناس؛ الهدوء الذى لا يجد له أثراً في شبابه، وهذا الفرق بين الماضى الملىء بالفرح والهدوء وبين زمانه الرّاهن المشحون بالقلق والفوضى جعله يغترّب عن عصره، فهو يردّ هذا الاغتراب بواسطة حبّه للعودة إلى عهد الطفولة والإتيان بالخواطر المليئة بالسرور عند طفولته بين أهله.

ربّما أجمل أبيات أنشدها حول الزمن الماضى لبيان تحسّره وحزنه هى التى تمثّل حالاته الروحية فى قصيدة ”حبل المشنقة“ حيث يقول: «ذات يوم/ كان لى وطن يا غريبة خلف الحدود/ رائعاً/ رائعاً كان/ ضاع الوطن/ غريبة ضاع الوطن/ ذات يوم.. / كنتُ بين الرفاق وبين المناشير والقهوة الساخنة/ بعد عام تبين لى أن أودّعهم/ عسساً يا غريبة كان/ عسس!/ ذات يوم.. / كان لى إخوة/ كفراخ العصافير يحومون حولى/ وكنتُ أغازلهم دائماً/ من يغازلهم من بعد أن عسكر الاحتلال على بيتنا/ ثم شتتنا/ يا غريبة من؟» (نفس المصدر: ٢٠٩)، جاء الشاعرُ بالأفعال الماضية فى هذه المقاطع وكما أنّ الفعل الماضى يفيد ثبوت شىء لشىء، فهذه الأفعال هاهنا تدلّ على أنّه فى شوقٍ دائمٍ ودموعٍ دائمةٍ، وكما رأينا فى هذه العبارات، يشير ”على فودة“ إلى الاختلاف الموجود بين الماضى والحاضر، والتناقض بين حالاته الروحية فى هذين العصرين ومثل هذه المتناقضات هو ما أخرجه عن صمته فساقَ حديثه فى مرارةٍ وأسى. وعلى ضوء ما سبق فالنصّ يشيع فيه أمران متخالفان يراوح بينهما؛ أمّا أولهما فمعاناة الغربة بما فيها من خوفٍ وضياحٍ وحزنٍ وشوقٍ للعودةٍ وثانيهما الاصطدام بالواقع الملىء بمحادثته وتعقيداته، ولكن عندما ندقّق فى العبارات للفحص عن غرضه الحقيقى نفهم أنّه يريد أن يحقّر حالة الهدم والإشغال الذى مُنيت بها فلسطين، وبعبارةٍ أخرى إنّ تحوّل السّلم والهدوء فى الزمن الماضى إلى الهزيمة والاضطراب فى الوقت الرّاهن فى فلسطين أدّى

إلى اغتراب الشّاعر عن عصره الرّاهن حتّى يرى بأنّه انقطع تماماً عن الزمن الراهن وما يسوده من الأحداث والعادات فعندئذٍ لن يستطيع أن يعيش فى الزمن المثالى الذى كان يرجوه؛ ذلك لأنّ كثيراً من الأعراف والتقاليد قد تغيّرت، ولقّها ضباب النسيان؛ كأن يكون العهد السابق حافلاً بالخيرات بحسب وجهة نظره فيتذكّر ذلك الماضى بشيءٍ من الحسرة والألم. واستخدم النوستالوجيا لبيان اغترابه عن الزمن الراهن ويتمثّل الاغتراب الزمانى فى شعوره بأنّه لا يعيش فى الزمن الجدير به، فيتتمنى أن يكون فى عصر غير عصره يضمن له كرامته ويحفظ له حقوقه. فعلى أساس هذه النماذج نستطيع القول بأنّ على فودة يرى الزمن ضاقاً والدهر صعباً وردبئاً، وأنّ ما فات منه فهو أثنّ ممّا يبقى وأعلى ممّا ضاع، فهو يفتش عن الزمن الضائع بعد ما تغيّرت الحياة. وملخص القول أنّ على فودة انتزع من الحاضر المؤلم وانفكّ منه لعالمٍ آخر مملوء بذكرىات الماضى الحلوة.

الاغتراب المكانى

يلعب المكان دوراً هاماً وحاسماً فى تكوين حياة البشر وترسيخ كيانهم وتثبيت هويتهم، وبالتالى تحديد تصرفاتهم وتوجهاتهم وهذا لكونه أشدّ التصاقاً بحياتهم، وأكثر تغلغلاً فى كيانهم وأعمق تجادلاً مع ذواتهم، فكما أنّ تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكل بعدا جماليا من أبعاد النص، فإنّ معايشة الإنسان للمكان وتآلفه معه أو معاداته له، يشكّل الخلفية الارتكازية لكلّ تصوّر أو توجه أو تشكيل فى (عقاق، ٢٠٠١: ٢٦٧ - ٢٦٨). والاغتراب المكانى هو الانتقال من منطقة إلى أخرى، مع ما يصاحب ذلك من شعور بالضياح والبعد والوحشة ومع أنّ ثمة أنواعاً أخرى من الاغتراب، فبعبارة أخرى إنّ الاغتراب المكانى هو «الشعور بذلك الحسّ الذى يحاول الإنسان تصوّيره عندما ينتقل من مكان إلى آخر لتحقيق آماله وطموحاته مصوّراً تلك البلدان التى أقامها، وعندما يدخل تلك البلاد المغتربة يصاب بحبّية الآمال» (يداللهى وأصلانى، ١٣٩٢ش: ٣١٠)، كما هى الحال عند "على فودة" حيث يصوّر حالة الناس عند قدومه إلى الوطن، وهو كان يهدف إلى إصلاح الوطن وتحريره والمقاومة أمام الأعداء ولكن عندما دخل الوطن وجد نفسه وحيداً لا يهتمّ به أحدٌ ولم يكن نصيبه سوى اليأس والحبّية، وفى موضع

آخر عندما يقنط من مساعدة الآخرين إياه في تحقّقها يحسّ بالاغتراب في هذا المكان الذى كان يحنّ إليه من قبل، فإذن يقرّر أن يرجع قائلاً: «أواه قد جار الزمان / فبتُّ مقصوص الجناح، مثخن الجراح، مشلول اللسان / وكنتُ طائراً مغرّداً / أسرح في المدى / لكننى الآن كما الشىء غريب / لا بدّ أن أرحل عن قريب / وربّما اليوم، وربّما غداً..!» (نفس المصدر: ١٣٨) فكما نرى أنّ الشّاعر انهزم في تحقيق مقاصده في المكان الجديد وهو وطنه المحبوب الذى كان بعيداً عنه سنوات عديدة؛ فلذلك يعتبر مكاناً جديداً له إذ طرد عنه في طفولته، فقد آذاه الاغتراب في المكان الجديد وحمله على الرّحيل خاويةً يده من ثمرّة الأهداف والأغراض. واستعمال عبارة «فبتُّ مقصوص الجناح، مثخن الجراح، مشلول اللسان» و«لكننى الآن كما الشىء غريب» وقياسه مع عبارة «وكنتُ طائراً مغرّداً / أسرح في المدى» يدلّ خير دلالة على اغترابه وخيبته في المكان الجديد، وهذا التطبيق يزيد كلامه شدة لإثارة أحساسيس القارئ. ألقي فيه شاعرنا نفسه عاجزاً عن تحقيق ذاته في مجتمع انهار جهازه القيمي وتلاشت معاييره، فأضحى محكوماً باللامعنى فواجه فراغاً هائلاً. وفي قصيدة "بطاقة الحزن" يخاطب "فودة" نفسه هكذا: «إنّ الغريب / سيظلّ طول العمر مهموماً غريب / حتّى يعود إلى الوطن» (نفس المصدر: ١٣٩) ومن خلال هذه العبارات تبين اغترابه المكنى. وفي موضع آخر يشكو الاغتراب وبعده عن وطنه قائلاً: «غريباً أعيش هنا / فاعتقوني / غريباً أعيش هنا / فاعتقوني / غريباً أعيش هنا / فاعتقوني / غريباً أعيش هنا / فاعتقوني.. / فهذى الديار تحطُّ يداً في يدى مرّة كل عام / وتطرّدنى ألف عام / فأين الديار - الديار؟ / أهذى ديارى.. / وأنتم هنا تنصبون المناحة في كل دار؟ / أهذى ديارى.. / وأنتم تبيعوننى للدّمار؟ / فيها هو وطنى / لا أسكنُ فيه» (نفس المصدر: ٢٣٩ - ٢٤٠) إنّ الشّاعر يعتبر أذى النّاس وعدم اهتمامهم به خير دليل على إحساسه بالألم والاعتراب في المكان الجديد وهو الوطن الذى عاد إليه بعد سنوات، فهو اغترب عن هذا المكان وأهله لأنّه مجتمعت تفكّكت فيه كلّ القيم والمعايير الاجتماعية، وفي ظلّ هذا الجو الاغترابي، يتكثّف الحزن وتتعمّق المأساة، ليرز التشكّي طوراً، والانعزال والنفى الذاتى أطواراً أخرى، وهذه الاستفهامات الدالّة على مفهوم الإنكار تدلّ على كرهه الشديد من المكان الجديد الذى قصّد إصلاحه وإنقاذ أهله من الظلم والاحتقار،

كما تشير إلى غفلة الناس وخضوعهم أمام الأعداء الذين أنسوهم وطنهم ومواطنيهم وأغراضهم النبيلة، وكثرة هذه التساؤلات تدلّ على نفس هذا الشاعر المتردّدة المملوءة بالشك والمتقطّعة بها الأسباب والبعيدة عنها الآمال.

فمن شكواه أيضاً: «طال غيابي وحنيني يوماً ما.. / حين أمّدي لـ "الزومر" ليصافحني / قد لا يعرفني / قد يتساءل عن اسمي / عن وطني الأوّل، أحزاني الأوّل / قد يتساءل عن أمّي.. / قد أهنّف يوماً.. زومر يا زومر أولا تذكرني؟ / أو ينسى هذا الماء الرقراق؟» (نفس المصدر: ٣٧١) فمن هذه العبارات نستطيع أن نتعرّف على مدى اغتراب الشاعر عن المكان الذي كان يعيشه قبل قدومه إليه وإذا أتى بفعل "قد لا يعرفني" فكأنه لا يصدّق أنّ وطنه لا يعرفه حقيقةً وبعد ذلك يدهش كثيراً؛ لأنّ الوطن بكلّ مظاهره قد نساها فينكر الشاعر هذا النسيان ويكرهه، فالاستفهام الإنكاري في هذه العبارات تدلّ على تحيّره ممّا وقع له في هذا المكان الجديد من الاغتراب المتمثل في «قد لا يعرفني / قد يتساءل عن اسمي» وهذا التشاؤم والانزعال الذي يجسّده على فودة ما هو في حقيقته سوي مظهر من مظاهر الغربة ونتيجة حتمية لها باعتبارها هروباً من مواجهة واقع مضطرب مريع.

لعلّ أوضح ما يدلّ على خيبة الشاعر عند قدومه إلى الوطن هي العبارات التي أتى بها في قصيدة "الوز المرّ" حيث يقول: «قبل سنين.. / أطلقت عنان حصاني الجامح.. / سابت الرّيح / عبرت الصحراء، الوديان، الغابات الملتقّة / خضت المعركة وراء المعركة.. / فخرّ حصاني بين القصب جريماً / سرت على الثلج، تشقق قدماي.. / ولكنّي أدلجت إليكم والشعلة في قلبي / لم ألتفت أبداً للخلف، ولم يهزمني شبح الخوف / فركضت.. / ركضت.. / ركضت إليكم، فرحى يسبقني / حين وصلت إليكم فاجأني ما فاجأني / أوّل من أطلق ناراً، أطلقها بين القدمين ليستقبلني / لكن رصاصات الثاني والثالث خرّت في بدني الأزرق!» (نفس المصدر: ٣٢٢ - ٣٢٣) وكان فلسطين في ذاكرة على فودة كمدينة فاضلة وبما أنّ المراد منها هي «المدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة الحقيقية فلا تكتمل السعادة لأهل المدينة إلا إذا كانت آراؤها فاضلة..» (عقاق، ٢٠٠١م: ٥٥) ولكنّه تحيّر من طرد الناس إياه وعدم اهتمامهم به،

وهذا هو سبب شعوره بالاغتراب المكاني لأن أعمال الناس هي التي تُثير الحيرة بمكان في نفوسنا أو الكراهية عنه. فهو رفض هذا المكان رفضاً قاطعاً، زاعماً أنه لا يوافق طباعه ولا ينسجم مع نفسه الزاهدة في ملذات الدنيا، الراضة لتسلط الحكام وطغيانهم، لقد كان رفضه مبنياً على اعتبارات أخلاقية التزامية، وأسس نفسية ومعطيات سياسية، ولم يقبل الضيم فاعتزل، ولم يرض الفساد فحارب، ولم يألف التملق والتزلف فهجا المجتمع وأهله. وشبه نفسه بالفارس المقاتل؛ إذ لا يمكن لشاعرنا أن يركب الحصان ويعبر الصحارى والوديان، بل صور نفسه في عالم الخيال وبهذا العمل ازداد كلامه بهاءً وتأثيراً، كذلك مع الاستمداد من بعض التقنيات اللغوية لبيان اغترابه المكاني منها التكرار في فعل "ركضت" والإتيان بالكلمات الدالة على اليأس والفشل، وأيضاً الإشارة إلى الرصاصات التي خرّت في بدنه كاستعارة عن مظالم الناس فكل هذه التقنيات ساعدته لبيان اغترابه المكاني.

إنّ "على فودة" إذا شاهد الإنكار وعدم الاهتمام من قبل الشعب الفلسطيني، يكره عنهم ويبرز نفوره منهم إذ نسوا قضية بلدهم من جانب وتركوا الشاعر وحده في أهدافه الإصلاحية من جانب آخر فيتضجر منهم قائلاً: «سئمتُ يا صحاب / سئمتُ هذه المدينة - السراب / سئمتُ لغوها / وهوها / وشمسها / وظلّها / سئمتها .. سئمتها .. هأنذا مترعة كأسى بألوان العذاب / وليس خلفها سوى البومة والغراب» (فودة، ٢٠٠٣ م: ٣٥٩) أفرّ "على فودة" بكراهيته للمكان الجديد وما فيها من "اللغو واللهو" و"الشمس والظل" ويؤكد على هذا الشعور بتكرار فعل "سئمتُ"، وفي نهاية كلامه أتى بلفظتي "البومة" و"الغراب" وبما أنّ هاتين الطائرتين ترمزان إلى الشؤم، فعلينا القول بأنّ الشاعر أقبل على الرمزية لبيان الظروف الموجودة في هذا المكان الذي دخله راجياً تحقيق أهدافه وآماله؛ لأنّ «اللجوء للرمز دلالة حقيقية لحياة شعراء الغربة ويعدّ إحدى الوسائل لإظهار ضعفهم.» (على، ١٩٩٥ م: ١٣٥) وكان الفرد إذا يضيق من أعباء عالمه ويضغط عليه محيطه، يمارس اللجوء إلى عالم يصنعه علي هواه «وفي الاشتغال بهذا العالم ينشد الفرد توسيع عالمه بالإلحاح علي التفاصيل وعلي الجزئيات في محاولة لإثارة الحوادث الموضوعية وفق علاقات يملها العقل.» (عقاق، ٢٠٠١ م: ٧٥) فهذه الرؤية وبهذا المنطق

يغرق على فودة في حالة من اليأس واللامبالاة والبرودة اتجاه كل شىء، ويقع تحت طائلة الاغتراب عن هذا المكان.

النتائج

تناول البحث الكشف عن أهم أنواع الاغتراب التي ظهرت في ديوان على فودة؛ ها هي الاغتراب الاجتماعى والسياسى والنفسى والإخوانى، الزمانى والمكانى؛ والسبب يعود إلى عوامل عديدة منها إهمال الشعب الفلسطينى إزاء القيم النبلة في بلدهم ونسيانهم أمجادهم القديمة، ابتعاد الشاعر عن وطنه وتشردّه منذ طفولته، الحبيبة في حبه الشّديد لأصدقائه ووطنه وهو لا يدري أنّ أصدقاءه وأحبّاءه قد تغيّروا ولم يبق فيهم أىّ عطفٍ وحنانٍ كما كان يريجه الشّاعر، والتناقض في سلوك النَّاس.

من مظاهر الاغتراب في شعر على فودة هي الإحساس بالقلق وعدم الارتياح والشعور بالضيق والإحساس باليأس وبعدم الفاعلية والأهمية، كذلك الانسحاب والعزلة الاجتماعية، وأزمة الهوية عنده والشعور بعدم الأمن في المجتمع، والابتعاد عن المشاركة بالإضافة إلى احتقار الذات ومركزية التحكم وتضخيم الأنا والميل إلى العدائية والعنف ومعاداة المجتمع والقيم السائدة.

كان على فودة أكثر توظيف الألفاظ التي تنم عن الوحدة والاغتراب والحزن لبيان اغترابه وأيضاً لإثارة عواطف القارئ أمام هذه الظاهرة المؤلمة، ولجأ إلى الطبيعة وأنس بما فيها من الحيوانات والأعشاب والتّحاور معها والحنين إلى الطفولة خلال وصفه لماضى بلاده والسعى لاستعطاف الآخرين ولا سيّما أمّه الميّتة من خلال الحوار معها.

كذلك حاول البحث اكتشاف وسائل الدفاع الشعرية أو الطرائق التي واجه الشاعر بها اغترابه الخاص، وقد توزعت بين اللجوء إلى الطبيعة في عالم الخيال، والإمعان في الرمزية واستحضار صور الطفولة واستدعاء الشخصيات التراثية الدينية، والتغنى بأجداد الماضى، والسعى لاستعطاف الآخرين من خلال الإسراف في إبداء الحزن والكآبة، كما ردّ اغترابه بالتمرد والثورة في أغلب الأحيان، وكان يذكر الآخرين بأهدافه الثورية

تجاه الأعداء؛ إذ كان عزيزاً عليه أنهم كانوا لا يهتمون به وبأهدافه في تحرير الوطن والدفاع عنه، وكان يتعجب من إهمالهم وغفلتهم عما يجري في فلسطين من النهب والدمار كما يشكو من جور رجال السياسة؛ فهذا التمرد كان ردّة فعله تجاه اغترابه السياسي والاجتماعي، ولكن عند شعوره بالاغتراب النفسي والزمانى والمكاني لم يكن يخضع أمام الظروف المفروضة. وفي اغترابه الإخوانى قد يحسّ بالاغتراب والحزن والتحسّر تارةً، وقد يقابلهم بالمثل حيناً آخر، فبناءً على ما سبق يمكن القول بأن ظاهرة الاغتراب ازدادت حدتها وكثرت التعبير عنها في قصائد على فودة حيث نستطيع أن نلقب هذا الشاعر الفلسطيني بـ "الشاعر المغترب".

المصادر والمراجع

- ابن منظور. (١٤٠٨ق). لسان العرب. تعليق: على شيرى. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربى.
- أبودلال، مريم سالم. (٢٠٠٩م). الاغتراب النفسى وعلاقته بالتوافق النفسى الاجتماعى. رسالة الماجستير. ليبيا أكاديمية الدراسات العليا.
- أشكورى، عدنان، (١٤٣٦ق). «ملاحم الاغتراب فى شعر أحمد الصافى النجفى». مجلة اللغة العربية وآدابها. السنة ١٠. العدد ٤. صص ٥٦٣-٥٣٣.
- بركات، حليم. (٢٠٠٦م). الاغتراب فى الثقافة العربية. ط١. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بركات، عبد الرزاق. (٢٠٠٧م). الاغتراب فى الشعر التركى والعربى المعاصر. ط١. كويت: دار القلم.
- بوعلامات، أمينة. (٢٠١١م). الاغتراب فى الشعر الجزائرى الحديث فى الفترة ١٩٢٥-١٩٨٠م. تلمسان: لانا.
- جاسم، عزيز السيّد. (لاتا). الاغتراب فى حياة وشعر الشريف الرضى. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.
- جواد، نهي عباس. (٢٠٠٦م). الاغتراب فى النص المونودرامى العراقى. رسالة ماجستير مرقونة علي آلة الحاسوب. جامعة بابل: كلية الفنون الجميلة.
- حافظ، أحمد خيرى. (١٩٨٠م). سيكولوجية الاغتراب لدى طلاب الجامعة. مصر: جامعة عين شمس.
- حماد، حسن. (٢٠٠٥م). الإنسان المغترب عند إريك فروم. القاهرة: مكتبة دار الكلمة.
- خليفة، عبداللطيف محمّد. (٢٠٠٣م). دراسة فى سيكولوجية الاغتراب. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
- خليل، ابراهيم، والآخرون. (٢٠٠٥م). مرايا التذوّق الأدبى. ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- الربيعي، أحمد حاجم. (٢٠١٣م). الغربية والحنين في الشعر الأندلسي. ط١. بيروت: الدار العربية للموسوعات.
- الرواشدة، علاء زهير. (٢٠١١م). الاغتراب السياسي لدى الشباب الجامعي. المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية. المجلد ٤، العدد ٣، صص ٢٩٨-٢٦٤.
- زيادة، معن. (١٩٨٦م). الموسوعة الفلسفية العربية. ط١. بيروت: معهد التاريخ العربي.
- السعدني، مصطفى، (١٩٨٧م). البنات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث. الإسكندرية: لانا.
- سلامي، سميرة. (٢٠٠٠م). الاغتراب في الشعر العباسي (القرن الرابع الهجري). دمشق: دار الينابيع.
- سليمان، محسن. (١٣٨٣ش). فن داستان نويسي. ج٤. تهران: اميركبير.
- عبّاس، دانيال علي. (٢٠١٦م). الاغتراب النفسي. دمشق: منشورات جامعة دمشق.
- عبدالسميع، بهجات محمد. (٢٠٠٧م). مدي فاعلية برنامج ارشادي لتخفيف الشعور بالاغتراب لدي المراهقين المكفوفين. ط١. الإسكندرية: منشورات كتب الاغتراب لدي المكفوفين.
- العبدالله، يحيى. (٢٠٠٥م). الاغتراب (دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلّون الروائية). ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبدالوهاب، طارق محمد. (٢٠٠٠م). سيكولوجية المشاركة السياسية (مع دراسة في علم النفس السياسي في البيئة العربية). القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
- عبد الوهاب، الطراف. (٢٠٠٢م). المشاركة السياسية والاغتراب السياسي. جريدة الأحداث المغربية. ١١ - ٢٩.
- عقّاق، قادة. (٢٠٠١م). دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- على، علي عبدالحق. (١٩٩٥م). ظاهرة الاغتراب وصدائها في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج. مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر. السنة السابعة. العدد السابع. صص ٩٧ - ١٤٨.
- الفارس، مجدى. (٢٠٠٤م). الخصائص النفسية الفارقة والمتعلقة بكثافة التعرض لبرامج التلفزيون الفضائية لدي الشاب الجامعي معهد الدراسات والبحوث التربوية. القاهرة: جامعة القاهرة.
- فودة، على. (٢٠٠٣م). «الأعمال الشعرية». ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- نعمتي، فاروق، وآخرون. (١٤٣٥ق). «الاغتراب ومظاهره في شعر سيّد قطب». الأدب العربي. السنة ٦، العدد ١. صص ٢٣٨-٢١٧.
- نعيسة، رغداء. (٢٠١٢م). «الاغتراب النفسي وعلاقته بالأمن النفسي - دراسة ميدانية علي عينة من طلبة جامعة دمشق القاطنين بالمدينة الجامعية». مجلة جامعة دمشق. المجلد ٢٨، العدد ٣. صص ١١٣-١٥٨.
- نوري، شاكر. (١٩٨٣م). «الاغتراب في الفكر الماركسي». بغداد: مجلة الثقافة. العدد ٤. صص ٥٩-٤٢.

- وطفة، على. (١٩٩٨م). المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية. الكويت: عالم الفكر.
- ياسين، طالب. (١٩٩٢م). «الاعتراب (تحليل اجتماعي ونفسي لأحوال المغتربين)». عمان: المكتبة الوطنية.
- يداللهي، عباس وسردار أصلاني. (١٣٩٢ش). «الاعتراب في شعر جميل صدقي الزهاوي وناصر خسرو القبادياني». فصلية ادبيات تطبيقي جامعة شهيد باهنر كرمان. السنة ٥. العدد ٩. صص ٣٢٣-٣٠١.
- يوسف، محمد. (٢٠٠٥م). الاعتراب الإبداعي لدى الفئات الإكلينيكية. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
- يوسف، غلامحسين. (١٣٦٣ش). كاغذ زر (يادداشتهاي در ادب و تاريخ). چاپ اول. تهران: يزدان.

Archive of SID